الشباب وتطلعات المستقبل



حسن الصفار

الشباب وتطلعات المستقبل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

[سورة الكهف:١٣]

الحمد لله رب العالمين. اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

المحتويات



مقدمة

يواجه شبابنا في هذا العصر تحديات خطيرة على صعيد تكوين شخصياتهم وتشكيل أفكارهم وسلوكهم.

فهم ليسوا متروكين لفطرتهم وعقولهم ليتبينوا عبرها الرشد من الغي.

وآباؤهم يعيشون صدمة التغيّر والتطور الهائل الذي أصاب حياتهم، فأفقدهم القدرة على استيعاب مستجدات العصر إلى جانب الحفاظ على القيم والمبادئ.

والجهات الدينية لا تمتلك وسائل الجذب والاستقطاب، كما لا تنطلق من واقع منظم قائم على البرمجة والتخطيط في الأعم الأغلب.

أما الأجواء المحيطة بالشباب فإنها تمتلئ بأساليب الإغراء والإغواء، فهناك فضاء مفتوح يهيمن عليه إعلام الشهوات والرغبات،

وثقافة مادية كالسيل الجارف تريد إذابة كل الشعوب في بوتقة الحضارة الغربية تحت شعار العولمة.

وظروف الحياة التي تزداد قساوة وصعوبة في مجالات التعليم والعمل وسائر مستلزمات المعيشة تجعل الشباب في قلق واضطراب على مستقبل وإمكانيات بناء حياته.

إنهم في حاجة ماسة إلى من يقف معهم، يتفهم ظروفهم، ويدرك حجم التحديات التي تواجههم، ويمدّ لهم يد العون ليتجاوزوا مخاطر هذه المرحلة الحساسة الحرجة من أعمارهم.

إنّ بعض الشباب ينهارون أمام هذه الأزمات وبعضهم يتساقطون على طريق التحدي.

وبعضهم يتخبط في سيره، ويتعثر في مشيه.

ونتيجة لذلك تسود مجتمع الشباب ظواهر غير مريحة، وتصدر من بعضهم ممارسات ليست لائقة، تستدعي انزعاج الآباء وغضب المتدينين..

لكن هذا الانزعاج أو الغضب لا يحل المشكلة بل قد يزيدها تعقيداً ويعمق الهوة بين الأجيال، وينفر الشباب من الدين.

والمطلوب هو فهم أعمق لواقع الشباب ومشكلاتهم ومن ثم مساعدتهم على تلمس الحلول، واكتشاف سبل الإنقاذ والخلاص.

وعلينا جميعاً أن نهتم بمناقشة هذا الأمر والتفكير فيه وتقديم المقترحات ووضع البرامج.

وهذه السطور المتواضعة هي حديث من القلب إلى قلب كل شاب وفتاة، كرسالة تعاطف وتضامن في مواجهة تحديات هذا العالم الصاخب، وكحوار مفتوح من أجل فهم أفضل لواقع الحياة، آملاً أن يكون فيها ما يضيء الطريق نحو التقدم والنجاح، وما يدفع لشحذ الهمم وتفجير الطاقات لبناء المستقبل.

راجياً لأعزائي وعزيزاتي كل خير وتوفيق.■

حسن الصفار

٩/ ٥/ ١٤٢٧هـ

٥/ ٦/ ٢٠٠٦م



الشباب في عالم التحديات

بين حين وآخر تقوم بعض الفئات والمجاميع من الشباب بممارسات وتصرفات مزعجة تعكر صفو الأمن الاجتماعي، وتخالف النظام الأخلاقي والقيمي للمجتمع.

إن مثل هذه الممارسات لا يمكن قبولها ولا تبريرها، ذلك أن حماية الأعراض والممتلكات الخاصة والعامة، هي من أولويات المبادئ والقيم الدينية، وأجلى مصاديق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

والمواطن الصالح هو من يشعر بالمسؤولية تجاه مصالح وطنه وأبناء مجتمعه، ويحرص على حمايتها من أي عبث أو اعتداء. لكن مجرد الإدانة والرفض لهذه التصرفات الخاطئة لا يكفي لاحتوائها، ولا يمنع من تكرارها، بل يجب أن نتعامل معها كجرس إنذار، ومؤشر خطر، على ما يعتمل في أوساط الجيل الناشئ من أبنائنا وشبابنا.

هذا الجيل الذي نشأ في عالم مليء بالتحديات، مزدحم بالمؤثرات الإعلامية والثقافية، يكاد يعيش نوعاً من الاغتراب والازدواجية، بين ما يسمعه من موروث ديني، وقيم اجتماعية، وبين ما يشاهده من وضع خارجي، بانفتاحه على العالم، عبر وسائل الاتصالات، وقنوات الإعلام والبث المباشر.

كما أن لصعوبات الحياة ومشاكلها في الظروف المعاصرة أثراً واضحاً في تأزم نفسيات أبناء هذا الجيل من الشباب.

وذلك يستدعي دراسة جادة، واهتماماً عميقاً، من قبل الجهات المعنية والواعية في المجتمع، لمساعدة هذا الجيل من أبنائنا على مواجهة تحديات الحياة.

طبيعة مرحلة الشباب

لكل مرحلة في عمر الإنسان طبيعتها وسماتها، وينبغي النظر إليها من خلال تلك الطبيعة والسمات، لا عبر منظار مرحلة أخرى، فلا يصح التعامل مع مرحلة الطفولة على أساس معادلات مرحلة الشباب، ولا مقايسة فترة الشباب بمرحلة الشيخوخة.

إن مرحلة الشباب هي فترة التطلعات والآمال عند الإنسان، فهو في مرحلة الطفولة لم يكتشف ما حوله بعد، ولا يمتلك القدرة النفسية والذهنية للتفكير المستقبلي، واستهداف طموحات معينة، فشعوره بذاته يكون في مرحلة بدائية، وتطلعاته بسيطة محدودة. . وكذلك في مرحلة الشيخوخة والكبر، حيث تخبو آمال الإنسان وتطلعاته غالباً،

بسبب ما واجهه في حياته من مشاكل وإخفاقات، تجعله أكثر واقعية ورضاً بما هو فيه، وأبعد عن الآمال والتخيلات. . أما مرحلة الشباب فهي فترة انبعاث الآمال والتطلعات، حيث تتوهج طموحات الإنسان نحو بناء مستقبله وحياته، ويفكِّر في تأمين متطلبات معيشته، وتكوين شخصيته وموقعيته في المجتمع.

وهنا يحتاج الشباب إلى أفق مفتوح أمام طموحاتهم، بأن تتوفر لهم فرص التقدم العلمي والعملي، وأن تتيسر لهم سبل تحقيق مطالب الحياة، وبناء المستقبل. كما يحتاجون إلى التوجيه السليم الذي يدفعهم لتفجير طاقاتهم وكفاءاتهم، وتحّمل المسؤوليات والتحديات، فبالجد والاجتهاد تتحقق الآمال والتطلعات.

إن شعور الشباب بانسداد الأفق أمام طموحاتهم، وتعذر تحقيق رغباتهم المشروعة، في بناء كفاءتهم، ومستقبل حياتهم، ينتج حالة من القلق والاضطراب الذهني والنفسي، قد يتحول إلى حالة من الإحباط، وحسب تأكيد علماء النفس: فإن ظاهرة قبول الإحباط والرضا به أكثر قوة عند الشباب.

والإحباط حالة مرضية، لها آثار خطيرة على نفس المصاب بها، قد تدفعه إلى العدوان والتمرد على واقعه الاجتماعي. وتشير العديد من الدراسات الاجتماعية إلى أن قلة فرص العمل، وارتفاع مستوى البطالة في صفوف الشباب، هو من أهم أسباب ظاهرة الانحراف والتمرد عند هذا الجيل.

بين العاطفة والعقل

في مرحلة الشباب تتوهج مشاعر الإنسان، وتقوى عواطفه وأحاسيسه، كأثر من آثار نموه الجسمي، وتفتق غريزته الجنسية. وهنا غالباً ما يقع الشاب تحت ضغط عواطفه وأحاسيسه، فيستجيب لإثارات الشهوة، وتسيطر عليه حالات الحماس والاندفاع، ويتخذ مواقف وقرارات غير ناضجة، قد تسبب له ضرراً بالغاً في مستقبل حياته. وتشير بعض النصوص الدينية إلى تغلب العاطفة على العقل في مرحلة الشباب لدى الكثيرين، مما يجعل بعض تصرفاتهم وممارساتهم تشبه أعمال المجانين فاقدي نعمة العقل، أو المخمورين الواقعين تحت نشوة السكر. كما ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الشباب شعبة من الجنون**».[1]

ويقول الإمام علي عليه السلام: «**ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال وسكر القدرة وسكر الشباب فإن لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار**».[2]

وإذا كان عنفوان العاطفة قوياً عند الشاب، فيجب استثارة العقل لديه، والتأكيد على مرجعيته، لتتوازن توجهات الشاب وتصرفاته بين عقله وعاطفته، فلا ينساق خلف أهوائه وشهواته، ولا يخضع للمشاعر

---

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٤٣٥٨٧، الطبعة الخامسة ١٩٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ج٢ص٣٧٣، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

والأحاسيس على حساب العقل والمنطق.

وهو بهذا يحتاج إلى التذكير بدور العقل، والى التحذير من الغفلة عنه، ويحتاج إلى مرافقة العقلاء الناضجين، والاستفادة من نصائح المرشدين.

ومن أهم ما يعانيه شباب هذا العصر، تأثير وسائل الإعلام، التي تحرّض فيهم عواطفهم، وتذكي مشاعرهم وأحاسيسهم، فأغلب البرامج والأفلام في القنوات الفضائية، تستثير الشهوة والغريزة، وتدفع نحو المغامرة والعنف، وتشجع على التمرد والانفلات من القيم والأعراف، تحت شعار الحرية والاستمتاع بالحياة.

ثلة الأقران

من جانب آخر نلحظ تكريساً في الانفصال بين جيل الأبناء الشباب، وجيل الآباء الكبار، حيث يعيش الشباب مع بعضهم كأقران وشلل وتجمعات، وتضعف لديهم حالة التواصل مع آبائهم وعوائلهم.

إن انجذاب الشباب نحو أقرانهم وأندادهم شيء طبيعي، لكن الأقران قد يكرسون ويؤكدون فيما بينهم التوجهات السلبية، إن لم تتوفر لهم الأجواء الصالحة.

يشير الدكتور عزت حجازي في كتابه (الشباب العربي ومشكلاته) إلى دور ثلة الأقران في حياة الشاب إيجاباً وسلباً، ويقول ما خلاصته:

إن وجود الشاب الاجتماعي يتوزع بين عوالم ثلاثة: الأسرة، ورفاق الدراسة، والأصدقاء أو ثلة الأقران. وتنفرد ثلة الأقران بتأثير خاص في حياة الشاب، فهي جماعته المرجعية التي تسبق في أهميتها غيرها، ويستمد الشاب منها قيمه وعاداته وأساليب تصرفاته، ومعايير الحكم على الذات والآخرين.

وترجع أهمية ثلة الأقران في حياة معظم الشباب إلى عدة عوامل من أهمها:

ما توفره لأعضائها من صحبة دافئة وتقبل، وصداقة حقيقية، تزودهم بطاقات متجددة لتحمل متاعب الحياة، ومشكلات مرحلة السن. وما تقدمه لهم من فرص تصريف التوترات التي يعانون منها في حياتهم. كما تتيح لهم الاستفادة من خبرات ومهارات بعضهم البعض، وتبعث فيهم الشعور بالأهمية الشخصية.

غير أن لثلة الأقران وجهاً آخر تمثله بعض أبعادها السلبية، التي من أهمها:

١. التسلط على الأعضاء، وقهر فرديتهم، وإلغاء استقلالهم، ومن ثم يعيش الشاب تسلط الرفاق، وخاصة العناصر القوية التي تهيمن على سائر الأعضاء.

٢.ليس من النادر أن تتسبب ثلة الأقران في زيادة حدة الصراع بين الشاب وأسرته ومربيه والكبار الآخرين، بما توفره له من دعم في تحديه لهم وثورته عليهم.

٣. قد تدفع الجماعة أفرادها إلى التورط في ألوان من السلوك

اللا اجتماعي، أو المضاد للمجتمع، لم يكونوا ليقدموا عليه وحدهم.

٤ . غالباً ما يكون النشاط داخلها عشوائياً، لا هدف موضوعياً له، وغالباً ما تنغلق الثلة على نفسها، وتصنع لها عالمها الخاص، مما يعزلها عن الواقع الاجتماعي ويدمر علاقاتها به.[١]

إن على الآباء أن يحرصوا على الصداقة مع أبنائهم، وإشراكهم معهم في أجوائهم، بما يستلزم ذلك من إظهار الاحترام لهم، والاستماع لآرائهم. لأن تواصل الشباب مع جيل الكبار، يساعدهم في تجاوز ضغوط العاطفة والأحاسيس، ويجعلهم أقرب إلى العقلانية والاعتدال.■

(١) حجازي: الدكتور عزت، الشباب العربي ومشكلاته ص٢٤٩،٢٥٢،الطبعة الثانية ١٩٨٥م،سلسلة عالم المعرفة٦ الكويت.



توجيه الطاقة والنشاط

النضج الجسمي، والتوهج العاطفي في مرحلة الشباب، يبعث لدى الشاب طاقة هائلة من القوة والنشاط، تحتاج إلى تصريف وتفعيل، فمرحلة الشباب هي منطقة القوة في حياة الإنسان، التي تعقب ضعف الطفولة، وتسبق عجز الشيخوخة. كما تشير إلى ذلك الآية المباركة: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾**[١]

إن هذه القدرات والطاقات الهائلة من النشاط لدى جيل الشباب، تشكل رصيداً هاماً للتنمية في المجتمع، ولتحقيق قفزات التقدم في مستواه العلمي والعملي، إذا ما أتاح المجتمع للشباب فرص العمل والحركة، وفتح أمامهم أبواب الفاعلية والإنتاج، في الميادين المختلفة.

---

(١) سورة الروم آية ٥٤.

وقد كان للشباب في تاريخنا الإسلامي، دور بارز في بناء الحضارة الإسلامية، وصنع المكاسب والإنجازات، حين كانت قيادة المجتمع تدفع بالشباب الكفء إلى الواجهة، وتمنحه الفرصة لإبراز مواهبه وقدراته القيادية.

فحينما أراد رسول الله ﷺ أن يختار أميراً لمكة، وحاكماً عليها بعد الفتح، اختار من دون كبار صحابته شاباً في حوالي الثالثة والعشرين من عمره، يقال له: (عَتّاب بن أسيد) مع حداثة عهده بالإسلام، حيث لم يسلم إلا يوم الفتح، وعينه أميراً لمكة، المدينة الأهم قداسة ومكانة في الجزيرة العربية.

كما أن آخر مهمة عسكرية أمر بها رسول الله ﷺ، كانت بعث فرقة من الجيش لغزو الروم، تضم كبار الصحابة من وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وقتادة بن النعمان، وأمثالهم، تحت إمرة شاب لم يبلغ العشرين من العمر، هو (أسامة بن زيد بن حارثة) وحينما اعترض بعض المسلمين على ذلك، وقال أحدهم وهو عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟ وبلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً، وتحامل على مرضه، وخرج إلى المسجد، وخطب الناس قائلاً: «أما بعد أيها الناس فما مقالة قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟! ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيمُ الله كان للإمارة لخليقا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة. . . .»، وكرر ﷺ وهو على فراش مرضه

عدة مرات: «**أنفذوا جيش أسامة**».[1]

إن طاقات الشباب تأبى على الكبت، وترفض الجمود، وإذا لم تجد أمامها قنوات سليمة للتصريف والتفعيل، وإذا لم تفتح أمامها الخيارات المناسبة لممارسة الحركة والنشاط، فستتفجر في الاتجاهات الخاطئة، وعبر الطرق المخالفة للقانون والنظام.

وما اهتمام دول العالم اليوم برعاية الأنشطة والفعاليات الشبابية وتشجيعها، كالنشاط الرياضي، إلا من أجل احتواء هذه الطاقات الفائضة لدى جيل الشباب.

إن الأندية الرياضية، وسائر المؤسسات التي تعنى باستيعاب قدرات الشباب ومهاراتهم العلمية والفنية والاجتماعية، أصبحت من الضرورات في عالم اليوم. والمجتمع الأرقى هو الأكثر اهتماماً بطاقات أبنائه وشبابه.■

(١) الصالحي الشامي: محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج٦ ص٢٤٨ الطبعة الاولى ١٩٩٣ دار الكتب العالمية، بيروت.



الانفتاح على الشباب

لا يصح لنا أن نترك أبناءنا وشبابنا فريسة لوسائل الإعلام والاتصالات، وقنوات البث الفضائي، وهي تبشّر بثقافة مادية استهلاكية، وأنماط سلوك غريبة، مخالفة لقيمنا وأمن مجتمعنا. ولا ينبغي أن ننفر منهم ونبتعد عنهم حينما تزعجنا بعض تصرفاتهم الطائشة، فهم ضحايا بيئة تعاني من خلل في أساليبها التربوية، وأجوائها الاجتماعية.

كما لا يمكن المراهنة على القمع والردع وحده، فقد يدفعهم إلى المزيد من التحدي، ويدخلنا في دوامة الفعل ورد الفعل، إننا نحتاج إلى الردع والتأديب، ضمن حدود معينه، لكن المراهنة يجب أن تكون على الاقتراب من الشباب أكثر، وفهم ظروفهم ومعاناتهم، وتوفير الأجواء الصالحة لهم.

إن الحاجة ماسة في مجتمعاتنا إلى الانفتاح على الشباب وتجسير العلاقة معهم، من قبل العائلة، وعلماء الدين، والمسؤولين،

لمساعدتهم على تجاوز هذه المرحلة الحرجة التي يمرون بها، والظروف الصعبة التي يعاني منها بعضهم في تسيير أمور حياته، ولتطمينهم ومعالجة ما يساورهم من قلق على بناء مستقبلهم، وتأمين متطلبات الحياة.

وهنا لابد من الإشارة إلى ضرورة تطوير الخطاب التربوي والديني مع الشباب، بحيث يكون أقدر على التأثير فيهم، فشباب اليوم منفتحون على لغة وسائل الإعلام الجذابة، ومطلعون على كثير من المعارف والعلوم المعاصرة، وهم يشاهدون أساليب التخاطب الوجداني والعاطفي، وإتاحة الفرصة للنقاش والحوار، وتفهم الرأي الآخر.

وبهذا لا يستقطبهم التخاطب الفوقي بأسلوب الأمر والنهي، والردع والزجر، والاسترسال في ذكر النصوص والأقوال، ومصادرة حق الاعتراض والتساؤل.

ولنا في منهج رسول الله ﷺ خير قدوة وأسوة، فقد جاءه غلام شاب، فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا! فصاح به الناس وقالوا: مه. فدنا منه' وأقبل عليه يحاوره بهدوء، وقال له: أتحب الزنا لأمك؟

أجاب الغلام: لا.

قال': وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لأختك؟

قال: لا.

قال': وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. أتحبه لابنتك؟

قال: لا.

قال: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك. ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدر الغلام الشاب، ودعا له قائلاً: اللهم كفّر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه.[1] ■

(١) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، ج٨ ص١٨٣، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.



البرامج والمؤسسات

مرحلة الشباب هي مرحلة صقل الشخصية، وبلورة الطاقات والمواهب، وذلك لا يتم إلا عبر برامج ومؤسسات تستوعب الشباب، وتنمي قدراتهم ومهاراتهم، بما ينفع مستقبلهم ومستقبل الوطن، ويتيح لهم مجال تصريف فائض القوة والنشاط، والاستفادة من أوقات الفراغ.

وكلما توفرت البرامج والمؤسسات لاحتضان الشباب، كانت ضمانة أكبر لصلاحهم وتقدمهم. بينما الضعف والفراغ في هذا المجال يعني توقع بروز توجهات سلبية، في وسط هذا الجيل.

لذلك تهتم كل دولة بإنشاء مؤسسة خاصة تعنى بشؤون الشباب، بمسمى وزارة أو وكالة أو مديرية، حسب اختلاف التنظيمات الحكومية في البلدان.

وقبل نصف قرن من الزمان استحدثت في المملكة العربية

السعودية إدارة لرعاية الشباب، تابعة لوزارة الداخلية سنة ١٣٧٢هـ. ثم انتقلت إلى وزارة المعارف سنة ١٣٨٠هـ. ثم أصبحت ضمن مهام وزارة العمل والشؤون الاجتماعية سنة ١٣٨٢هـ. وحتى صدور قرار مجلس الوزراء سنة ١٣٩٤هـ بأن تصبح جهازاً مستقلاً باسم (الرئاسة العامة لرعاية الشباب) والتي ترعى الآن أكثر من اثنين وسبعين منشأة رياضية وثقافية في مختلف مناطق المملكة.

إن مجتمعنا السعودي يعتبر في طليعة المجتمعات الشابة، حيث تصل نسبة الفئة التي تقل عن ٢٥سنة إلى ٥٥٪ من عدد السكان. ويواجه شباب المملكة اليوم تحدياً كبيراً في الحفاظ على قيم دينهم، وتقاليد مجتمعهم، في ظل العولمة الثقافية، والانفتاح الإعلامي الهائل. كما أن سنوات الطفرة الاقتصادية أوجدت تغييراً في بعض أنماط السلوك والعادات الاجتماعية، أضعفت التماسك العائلي والعلاقات الأسرية.

و بعض الصعوبات الحادثة في مجال التعليم، وخاصة لجهة قدرة الجامعات على استيعاب الراغبين في الالتحاق، أو في مجال تأمين فرص العمل والوظائف للخريجين، أو لزيادة التعقيد في متطلبات بناء الحياة من زواج وسكن. . كل هذه الصعوبات تشكل ضغوطاً على من يتعرض لها من جيل الشباب.

وليس بعيداً أن يكون مجتمعنا مستهدفاً من قبل جهات معادية، تسعى لتشجيع حالات الميوعة والانفلات في أوساط أجيالنا الناشئة.

من هنا يجب النظر بعمق واهتمام لما يواجه شبابنا من تحديات، وأن نتعامل مع ما يطفو على السطح من تصرفات خاطئة، تصدر من بعض فئات الشباب، على أنها جرس إنذار، وعلامة خطر. فلا ننشغل بتلك الظواهر عن الجذور والخلفيات، حيث لا تفيد معالجة أعراض المرض الخارجية إن لم يتم تشخيصه ومداواته.

إن العائلة والجهات الحكومية، والمؤسسات الأهلية، وعلماء الدين المرشدين، وكل واع في المجتمع، مطالبون جميعاً بمضاعفة الجهد والاهتمام، لرعاية هذا الجيل الشاب، ومساعدته على مواجهة تحديات عالم اليوم.■



الشباب: أسرع إلى كل خير

يتصور البعض أن طبيعة مرحلة الشباب بما يواكبها من عنفوان عاطفي، واستيقاظ للغرائز والشهوات، تسبب عزوفاً عن الدين، وميلاً إلى اللهو واللعب، والانفلات من الضوابط والالتزامات.

لكن الحقيقة تشير إلى عكس ذلك، فمرحلة الشباب، تبرز فيها كافة الميول والرغبات والملكات الطبيعية الكامنة في ذات الإنسان، سواء منها الشهوانية المادية والروحية المعنوية.

فإلى جانب استيقاظ غريزته الجنسية يتبلور وعيه وعقله، وتنمو التوجهات الفطرية والخيّرة في نفسه، وتنتصب أمام ذهنه تساؤلات وعلامات استفهام حول وجوده ووجود الكون والحياة، بعد أن كان في مرحلة الطفولة غير ملتفت ولا مهيأ للتفكير الجاد في هذه الأمور، فيصبح على مفترق طرق، وأمام عدة خيارات، والبيئة التي يعيش فيها، والأجواء التي يحياها، لها دور في ترجيح كفة هذا الميل أو ذاك في نفسه.

لذلك يعتبر الإسلام فترة البلوغ هي سن التكليف الشرعي وتحمّل المسؤولية. (ويعتقد جميع العلماء أن هناك ميولاً أخرى إلى جانب المعرفة الفطرية والضمير الأخلاقي، تتوضح معالمها بشكل طبيعي في الإنسان لدى بلوغه سن الثانية عشر، أي مع بداية مرحلة الحداثة والفتوة، ومن جملة هذه الميول، الميل إلى المعرفة الدينية، وهذا الميل يزداد ويشتد تدريجياً مع تفاعل العوامل الطبيعية للبلوغ حتى يصل ذروته في سن السادسة عشر. يقول (جان. بي. كايزل): لقد أثبتت الاختبارات أن الإيمان بالدين يبدأ تفاعله في أعماق الإنسان من سن الثانية عشر. أما (موريس دبس) – أستاذ في جامعة ستراسبورغ – فيقول: «يبدو أن هناك إجماعاً بين علماء النفس على وجود علاقة بين أزمة البلوغ والوثوب المفاجئ للحس الديني لدى الإنسان. وفي هذه الفترة يلاحظ وجود نوع من النهضة الدينية والوعي الديني حتى عند أولئك الذين لم يكونوا ليعيروا اهتماماً من قبل بكل ما يتعلق بالدين والإيمان. وهذا الحس الديني يبقى يتفاعل في أعماق الإنسان حتى يصل في سن السادسة عشر إلى ذروته»[1].

الشباب طليعة المؤمنين

ولو استقرأنا تاريخ الرسالات السماوية لرأينا بوضوح أن الشباب كانوا هم السبّاقين للإيمان بها، وللاستجابة للرسل الكرام،

---

(١) فلسفي: محمد تقي، الشاب بين العقل والعاطفة ج١ ص٣٢٩ الطبعة الأولى ١٩٩٤ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

وحمل الدعوة والجهاد من أجلها والدفاع عنها.

فنبي اللَّه نوح ﷺ يعيّره قومه بأنه لم يستجب له إلا الضعفاء والشباب ﴿**وَمَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾[١]، «لأن معظمهم من الشباب المطهرة قلوبهم الذين يحسون بضياء الحقيقة في قلوبهم، ويدركون بذكائهم وبحثهم عن الحقيقة دلائل الصدق في أقوال الأنبياء ﷺ وأعمالهم»[٢].

ونبي اللَّه موسى ﷺ إنما التف حوله شباب قومه متحدين أجواء الاستبداد والقمع كما يقول تعالى ﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ**﴾[٣] والذرية هم الأبناء.

ونبينا محمد ﷺ كان طليعة المؤمنين به من الشباب لذلك ورد عنه ﷺ أنه قال: «**أوصيكم بالشبان خيرا فإنهم أرق أفئدة، وأن اللَّه بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان، وخالفني الشيوخ، ثم قرأ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**»[٤].

وكان مما أثار شيوخ قريش على رسول اللَّه ﷺ إقبال أبنائهم الشباب على دعوته، وصرحوا بذلك في شكواهم إلى أبي طالب حيث قالوا: «**إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبابنا**»[٥].

---

(١) سورة هود الآية٢٧.

(٢) الشيرازي: ناصر مكارم، تفسير الأمثل ج٦ ص٤٧٨.

(٣) سورة يونس الآية٨٣.

(٤) فريد: مرتضى، روايات من مدرسة أهل البيت ج١ ص٣٤٩.

(٥) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج١٨ ص١٨٠.

فعلي بن أبي طالب أول الناس إسلاما كان عمره ثلاثة عشر سنة، وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري ومصعب بن عمير وبلال بن رباح وأمثالهم من الصحابة رضي اللَّه عنهم، اعتنقوا الإسلام في مرحلة شبابهم، وحملوا رايته وأشادوا كيانه.

ومرة سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام تلميذه محمد بن النعمان المعروف بمؤمن الطاق، وكان مهتماً بنشر تعاليم الإسلام ومعارف أهل البيت (عليهم السلام) سأله الإمام: كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟ فقال: واللَّه إنهم لقليل. فقال له الإمام جعفر: عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير[١].

وفي العصر الحاضر فإن الشباب هم جمهور الصحوة الإسلامية المباركة، فالإقبال على الاتجاه الديني، والتحرك الإسلامي يأتي أكثر من أوساط شباب المسلمين في هذا العصر.■

(١) المصدر السابق ج٢٣ ص٢٣٦.

دوافع التدين عند الشباب

هناك أكثر من دافع وراء ظاهرة إقبال الشباب على التدين:

١ . في مرحلة الشباب يتشكل وعي الإنسان، ويتفتح تفكيره على الحياة، فترتسم أمامه تساؤلات ملحة، تطرحها عليه فطرته، ويثيرها عقله، وتنبثق من خلال تأمله وملاحظته الفاحصة لما حولـه من قضايا وأوضاع، ولأن الدين يقدم إجابات واضحة، تنسجم مع الفطرة، وتتفق مع بديهيات العقل، فإن الشاب يجد في الدين ضالته، وكنفه الذي يأوي إليه، فيمنحه الاطمئنان النفسي، والاستقرار الفكري.

وحين لا تتوفر للشاب فرصة التعرف على الدين، والإطلاع على مبادئه وتعاليمه، فإنه قد يعيش فراغاً فكرياً ونفسياً يسبب له الكثير من القلق والاضطراب، وقد يصبح عرضة للتوجهات الخاطئة والمنحرفة، من هنا جاء التأكيد الديني على الاهتمام بالناشئين والشباب من قبل عوائلهم، والواعين من أبناء المجتمع، لحماية جيل الشباب من الفراغ والضياع.

يقول الإمام علي عليه السلام: «وإنما قلب الحَدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته»[١].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة»[٢] من الفرق المنحرفة.

٢. يكون الشاب مرهف المشاعر والأحاسيس، صافي الفكر والسريرة، لذا يتحسس بدقة نقاط الضعف والثغرات في الواقع الاجتماعي المعاش، ولأنه يفكر في بناء مستقبله وحياته ضمن هذا الواقع الاجتماعي، فإن المشاكل والأزمات الحاضرة تزعجه وتشعره بالقلق على مستقبله، وقد يرى أن تطلعاته وطموحاته تتعثر في مجال التعليم أو العمل أو بناء الأسرة وترتيب شؤون الحياة، بسبب بعض المشاكل القائمة، مما يجعله باحثاً عن الطروحات والمناهج التي يعقد عليها آمال الخلاص ويرى فيها سبيل المستقبل الأفضل.

والدين ينمي في الإنسان روح التطلع إلى الأفضل، ويشحذ همته لمقاومة مساوئ الواقع المعاش، وعدم الخضوع لمفاسده ومشاكله، ويشجعه على العمل من أجل الإصلاح والتغيير، وهذا ما تنشده نفوس الشباب وتتجاوب معه.

فشباب مكة والمدينة إنما استجابوا للّه ورسوله، واندفعوا نحو الإسلام، لأنهم رأوا فيه رسالة تغيير، وثورة إنقاذ، من الجهل والشرك والفساد الاجتماعي.. وشباب الإسلام في هذا العصر إنما تفاعلوا

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة- كتاب ٣١.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج٦ ص٤٧.

مع الصحوة الإسلامية، لما شعروا به من مرارة واقع أمتهم، حيث التخلف الحضاري، والهيمنة المعادية، وأوضاع الاستبداد والفساد الشامل، فلجؤوا للإسلام كسفينة نجاة، ومشروع إنقاذ وإصلاح.

٣. بمرور الزمن قد تتراكم الأخطاء وتحدث الانحرافات حتى في المجتمعات الصالحة، لذلك تحتاج المجتمعات إلى نفضات وانتفاضات تجديدية، تطور من خلالها برامج حياتها، وتتجاوز الأخطاء والسلبيات، لكن جيل الكبار قد تصعب عليهم هذه المهمة، فهم قد ألفوا الواقع المعاش، وتعودوا على طرقه وأساليبه، وهم يخشون من مضاعفات أي تغيير، ولا يمتلكون روحية المغامرة والطموح غالباً.

أما الشباب فارتباطهم بالواقع المعاش ناشئ ومحدود، وانشدادهم النفسي إليه ضعيف حين لا يرضي طموحاتهم، وفورة الشباب تدفعهم للمغامرة واقتحام المجهول بحثاً عن الأفضل.. والدين في حقيقة مفاهيمه وتعاليمه دعوة دائمة إلى الإصلاح والتجديد، وحث وتحريض على تغيير المنكر وإقرار المعروف في أي مجال من مجالات الحياة.. وتلك سمة تستقطب الشباب وتستهويهم من الدين.■



المسؤولية تجاه الشباب

هذه الدوافع التي توفرها مرحلة الشباب نحو التدين، لا تعني حدوث حالة التدين بشكل تلقائي لدى الشباب، وإنما وجود الاستعداد والتهيؤ الذاتي، والذي يحتاج إلى استثمار وتفعيل خارجي.

وهنا تأتي مسؤولية العائلة والمجتمع في توفير أجواء الهداية والتوجيه السليم، ويبدو لي أن من الأمور الأساسية للأخذ بيد الشباب الأعزاء نحو التدين والصلاح أمران:

١. التوعية والتثقيف المناسب: فأبناؤنا اليوم يعيشون عالماً متقدماً في وسائله وأوضاعه عن العالم الذي عاشه آباؤهم، فهم منفتحون على ما يجري في العالم كله عبر وسائل الاتصالات والإعلام المتطورة، ويشعرون بالثقة بالذات، والرغبة في التحرر، فلا بد وأن تعرض عليهم مفاهيم الدين وتعاليمه، بشكل مناسب، ولغة معاصرة، وأسلوب واضح جذاب، قادر على استقطابهم ومعالجة ما يواجهونه من تساؤلات وتحديات.

٢. الإقبال عليهم والاهتمام بهم من قبل الجهات الدينية، إنهم بحاجة إلى من يفتح لهم قلبه ويبدي لهم الاحترام والتقدير، ويتحمل إشكالاتهم وبعض الأخطاء التي تبدو من سلوكياتهم، إن مجاميع كثيرة من الشباب كانوا في البداية غافلين عن الدين، تتقاذفهم مختلف التوجهات والمسلكيات الخاطئة، لكن توجه بعض علماء الدين الواعين لهم، وإقبالهم عليهم واهتمامهم بهم، أوجد منعطفاً كبيراً في حياتهم، وحولهم إلى شباب صالحين مصلحين، يتفانون في خدمة دينهم ومجتمعهم. إن التصدي من قبل علماء الدين لرعاية الجيل الشاب يعتبر من أهم المسؤوليات في هذا العصر، حيث يواجه الشباب طوفاناً جارفاً من الثقافة المادية والإغراءات الفاسدة، وإنقاذ أي شاب وهدايته هو أفضل مصداق لقولـه: « لأن يهدي اللَّه بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »[1]. واهتمام عالم الدين بالشباب مؤشر على إخلاصه، فالوسط الشبابي لا يعطي بروزاً وظهوراً، ولا تتوفر لديه الامتيازات والإمكانيات كما هو الحال في أوساط الكبار ورجال الأعمال، كما لا يحظى منهم بمظاهر الاحترام والتقدير التي يبديها الكبار عادة لعالم الدين، والتعاطي مع الشباب امتحان لرحابة الصدر وسعة الأفق، كل ذلك يجعل الثواب الإلهي أجزل وأوفر في الاهتمام بهذا الجيل الناشئ.

وبالإضافة إلى الثواب الإلهي فإن من يقبل على الشباب ويهتم بهم، سيرى ثمار جهده يانعة وفيرة، من خلال إقبال الشباب وتجاوبهم

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢١ ص٣٦١.

وتفاعلهم، مصداقاً لقـول الإمام جعفـر الصـادق عليه السلام: «**إنهم أسرع إلى كل خير**» . فنفوسهم شفافة، وقلوبهم رقيقة كما قال عنهم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنهم أرق أفئدة**» ، لم تتراكم عليها الذنوب بعد، ولم تعقّدها المصالح والسلبيات. وما قد نراه من مسلكيات خاطئة عند بعض الشباب إنما هو نتيجة للفراغ وضعف التوجيه والتوعية.

و في العطلة المدرسية الصيفية، والتي يكون فيها للشباب من فتيان وفتيات متسع كبير من الوقت، يجب أن تتوفر لهم فيه برامج مفيدة، ينمّون من خلالها كفاءاتهم وطاقاتهم، ويتعرفون على معالم دينهم، وما ينفعهم لدنياهم وآخرتهم، وإذا ما تركوا للفراغ فإنهم سيكونون عرضة لمختلف التوجهات المنحرفة والفاسدة، فالفراغ خطير، ودافع للكثير من المسلكيات الضارة على الفرد والمجتمع.

والمأمول أن يتوجه العلماء الواعون، والناس المهتمون بمصلحة المجتمع، وخدمة الدين، لاحتواء هؤلاء الشباب في عطلتهم المدرسية، ووضع البرامج المفيدة لتوعيتهم وتربيتهم وتوجيههم.■



نحو استثمار أفضل لوقت الفراغ

تتفق كل أنظمة التعليم في جميع دول العالم، على منح طلابها إجازة سنوية خلال فترة الصيف، تقارب ثلاثة أشهر يطلق عليها -عطلة الصيف-، وإقرار نظام العطلة الصيفية جاء محصلة ونتيجة لتطور تجارب المجتمع البشري، في مجال علم التربية والاجتماع.

فالدراسة الأكاديمية المنتظمة، تستلزم بذل جهد ذهني ونفسي من الطالب، وتقيّد حريته وحركته ببرنامجها اليومي الرتيب، مما يجعله في حاجة إلى فترة من الراحة، بالتوقف عن التزاماته الدراسية، وشعوره بالحرية والانطلاق.

محطة التوقف هذه أثناء العطلة الصيفية تؤدي عدة وظائف لصالح العملية التعليمية. فهي:

أولاً: تعطي الطالب فرصة لتجديد نشاطه الذهني والنفسي، حتى لا يستنـزفه العناء، ولا يسيطر عليه الإرهاق والملل، فيستأنف

بعدها عامه الدراسي الجديد برغبة وشوق.

ثانياً: تشكل العطلة الصيفية فاصلة بين المراحل والبرامج التعليمية، تنبه الطالب إلى حركة مسيرته الدراسية، وتجاوزه لأشواطها، ومستوى خطواته في طريقها، وتهيئه للاستعداد لكل مرحلة جديدة.

ثالثاً: تمنحه المجال لاستكمال بعض نواقصه، ومعالجة ثغرات تحصيله، ليواكب مسيرة المنهج الدراسي، ولا يتخلف عن مستوى زملائه وأقرانه.

رابعاً: تتيح الفرصة لتنمية شخصيته الإنسانية، في أبعادها المختلفة، فهو إنسان ذو مشاعر وأحاسيس، وله مواهب وقدرات، فلا بد له من أفق مفتوح أمامه، لإشباع مختلف حاجاته، وممارسة رغباته المتعددة.

لكل هذه الأغراض وأمثالها اتفقت أنظمة التعليم على إقرار العطلة الصيفية، ومن نفس المنطلق، اعتمدت أنظمة العمل في جميع الدول، حق الإجازة السنوية لكل عامل.

صحيح أن العمل ذهنياً كان كالدراسة، أو عضلياً كسائر مجالات الإنتاج، هو القيمة الأساس في الحياة، وهو يعني الفاعلية والنشاط المباشر، لتوفير المتطلبات، وتحقيق الطموحات، لكن وقت العطلة والفراغ، هو الآخر لا يخرج عن هذا الإطار، حيث يقصد منه تحديد رغبة العمل، وتنمية دوافعه، وتوفير مستوى من الارتياح والرضا النفسي.

وقت الفراغ

وهو الوقت الذي يتحرر فيه الإنسان من التزامات العمل وواجباته، أو التزامات الدراسة ووظائفها بالنسبة للطالب، وهناك عدد كبير من التعريفات والتصنيفات، وأساليب القياس لوقت الفراغ، تناولتها الدراسات المختصة.

ويمثل موضوع –وقت الفراغ– ميداناً لبحوث مكثفة من قبل علماء الاجتماع، ورغم حداثة الاهتمام بهذا الموضوع علمياً، إلا أنه سرعان ما جذب اهتمام العلماء، واستقطب جهودهم، فأصبح منافساً لكثير من فروع علم الاجتماع، مع أسبقيتها عليه.

وذلك لما لهذا الموضوع من آثار تمتد لتشمل مختلف جوانب حياة الإنسان، التربوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية. مما جعل الاهتمام بوقت الفراغ ليس مسألة جانبية أو هامشية، بل جزءاً أساسياً من الاهتمام بشخصية الإنسان، وبالنظم الاجتماعية القائمة في الحياة المعاصرة.

وقد تبلورت ظاهرة وقت الفراغ لدى الإنسان المعاصر، في أعقاب الثورة الصناعية في مجتمعاتها، بعد أن كان العامل في عصور الإقطاع مسخّراً، لا يتمتع بشيء من حقوقه الإنسانية، فضلاً عن حق الإجازة والعطلة السنوية. وفي معظم المجتمعات البدائية والزراعية، يضطر الإنسان للاستمرار في الكدح والعمل طوال السنة، لتوفير احتياجات حياته، والتي تكاد تخلو من الفراغ بالشكل السائد اليوم.

وكشفت دراسات علماء الانثروبولوجيا، لأساليب الحياة اليومية، للمجتمعات البسيطة والتقليدية، أنه لم يكن يوجد في هذه المجتمعات خط فاصل تماماً، بين العمل والفراغ، ذلك أن العمل يستنفذ طاقاتهم، وتختلط أنشطته بأنشطة الترويح والتسلية، حيث كانوا يقومون ببعض العادات والتقاليد الترويحية أثناء العمل، كالرقص أو الغناء أو المزاح أو العمل التعاوني، و بعض هذه العادات والتقاليد كان ذا طابع ديني(١).

لكن باحثين من علماء الاجتماع، يذهبون إلى عراقة ظاهرة وقت الفراغ، في كل الحضارات، عبر تاريخ البشر، لكنها كأي ظاهرة إنسانية أخرى تعرضت للتغيّر والتطور، حتى أصبحت الآن أكثر تقنيناً وانتظاماً، بفعل تطور الحياة، وتجارب الزمن.

ونجد في كتابات أرسطو وأفلاطون، وسائر فلاسفة اليونان، مؤشراً على وجود ظاهرة وقت الفراغ في تلك المجتمعات، حيث لم تخل تلك الكتابات من تناول هذه الظاهرة، والحديث عنها بدقة وعمق، باعتبارها فرصة للتربية، وتنمية النفس أو الروح.

على أن بعض علماء الاجتماع، يرون أن ظاهرة وقت الفراغ آنذاك، كانت محصورة في إطار الطبقة الممتازة، صاحبة المكانة الرفيعة في المجتمع الإغريقي، ولم تكن حالة عامة لدى سائر الطبقات.

---

(١) محمد: الدكتور محمد علي، وقت الفراغ في المجتمع الحديث ص٤٨ دار النهضة العربية- بيروت ١٩٨٥م.

أما في العصر الحديث فيتمتع كل عامل أو طالب بوجود وقت فراغ، نظراً للأنظمة السائدة في العالم، القائمة على تحديد ساعات الدراسة والعمل، وإقرار نظام الإجازات والعطل، ونظراً لتقدم مستوى المعيشة والحياة، مما جعل وقت الفراغ جزءاً من نظام حياة الناس غالباً.

الاهتمام بوقت الفراغ

في وقت مبكر اهتم فلاسفة اليونان بوقت الفراغ، وأكدوا على ضرورة توظيفه روحياً، حيث ركز أرسطو على أهمية استغلال الفراغ في الموسيقى والتأمل، انطلاقاً من رؤيته لدور الأنشطة الموسيقية في تنمية العقل وملكة التفكير، ولمحورية التأمل في بناء شخصية الإنسان وتحقيق إنسانيته.

أما في العصر الحديث فإن الاهتمام بوقت الفراغ أحرز تقدماً كبيراً، وشغل مساحة واسعة، على الصعيد المعرفي والثقافي. فمنذ العشرينيات والثلاثينيات للقرن العشرين، ظهرت كتابات ودراسات كثيرة، في أوروبا وأمريكا، عن وقت الفراغ.

وفي عام ١٩٢٤م نظم مكتب العمل الدولي أول مؤتمر عالمي عن وقت فراغ العامل، شارك فيه أكثر من ٣٠٠ عضو يمثلون نحو ثمانية عشر دولة.

وفي أوروبا حقق علم اجتماع الفراغ تقدماً كبيراً، إذ عمل «جورج فريدمان» بوجه خاص، على تنمية الاهتمام بدراسة دور

الفراغ في إعادة وضع الإنسان، وتكييفه مع الحضارة التي تسيطر عليها التكنولوجيا.

وفي إنجلترا كان للدراسة التي أجراها كل من «روانتري» و«لافيرز» بعنوان «حياة الإنجليز والفراغ» أثرها في توجيه الاهتمام نحو تحرير عدد من المقالات السوسيولجية، والبحوث المتخصصة. كما بدأ «جو فردي مازدييه» في هولندا بحوثه عام ١٩٥٣م لعل أهمها أطلق عليه «نحو حضارة الفراغ» وكذلك دراسته بعنوان «الفراغ الحضري»[١].

رؤية دينية

يمكننا أن نستخلص من النصوص والتعاليم الدينية، رؤية عميقة شاملة للدين، حول موضوع وقت الفراغ، وتعالج هذه الرؤية قضية الفراغ من ثلاث زوايا:

الأولى: تنمية حسّ المسؤولية تجاه الزمن، والحرص على الوقت، باعتبار محدودية عمر الإنسان، وأهمية طموحاته وتطلعاته، وعظيم الطاقات والقدرات التي يختزنها، مما ينبغي أن يحفزه إلى استغلال كل لحظة من وجوده، بأفضل ما يمكن.

إن ما يعيشه الإنسان من عمر في هذه الحياة يبدو قصيراً، قياساً إلى عمر الزمن، وإلى آمال الإنسان، ورغبته في الخلود، وهذا ما تعبّر

(١) المصدر السابق: ص٤٢-٤٤.

عنه آيات عديدة في القرآن الكريم، تحكي عما يدور في نفس الإنسان تجاه الحياة بعد مغادرتها. يقول تعالى: ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ**﴾[2].

ويحكى عن شيخ المرسلين نوح: أنه جاءه ملك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده، فسأله: يا أطول الأنبياء عمرا، كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

إن ما يخسره الإنسان من ماله وسائر ممتلكاته ومكاسبه يمكن تعويضه، والتوفّر على بدائله، لكن الوقت هو الشيء الذي لا يعوّض ما فات منه، ولا يمكن تداركه، فكل لحظة تمضي لا تعود، وكل يوم ينقضي لا يرجع. فهو رصيد محدود، ورأس مال نادر، بل هو رأس المال الحقيقي للإنسان، فلا بد من الحفاظ عليه، والاستفادة منه بأعلى حد ممكن.

وفي الحقيقة فإن الوقت هو الحياة يقول الإمام علي عليه السلام: « **إنما أنت عدد أيام، فكل يوم يمضي عليك يمضي ببعضك** » ويقول عليه السلام: « **ما نقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك** ». وقال الشاعر:

كل يوم يمر يأخذ بعضي　　　يورث القلب حسرة ثم يمضي

---

(١) سورة المؤمنون: الآية١١٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٤٥.

وقال شاعر آخر:

إنا لنــفـرح بالأيــام نقطعها   وكل يوم مضى جزء من العمر

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك** »[1].

وتنبيهاً للإنسان على أهمية الزمن يقسم الله تعالى في القرآن الكريم بالعديد من الفواصل والمحطات الزمنية، كما في الآيات التالية:

﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**﴾[2].

﴿**وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾[3].

﴿**وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾[4].

﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾[5].

هذه النصوص والتعاليم تربي الإنسان على احترام الوقت والاهتمام باستغلاله، وأن يتصرف فيه بمسؤولية وتقدير، ليستطيع تحقيق أكبر قدر من الإنجازات والمكاسب.

فهو مسؤول أمام الله تعالى عن تعامله مع أوقات حياته، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: « **لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى**

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٤ ص٧٦.

(٢) سورة الليل: الآيتان ١-٢.

(٣) سورة الفجر: الآيتان ١-٢.

(٤) سورة الضحى: الآيتان ١-٢.

(٥) سورة العصر: الآيتان ١-٢.

يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه... » رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

وكما يهتم الإنسان باحترام وقته واستثماره، عليه أن يحترم أوقات الآخرين، فلا يكون سبباً في تضييعها وإهدارها بعدم الالتزام في المواعيد، والزيارة في الأوقات غير المناسبة لهم، وإطالة اللقاء والحديث دون فائدة أو غرض.

إن احترام الوقت هو أحد أهم مقاييس التقدم للأفراد والمجتمعات.

تنوّع المهام والأبعاد

وهذه هي الزاوية الثانية من الرؤية الدينية لوقت الفراغ، فالإنسان كائن مميّز، لشخصيته أبعاد مختلفة، فهو مادة وروح، نفس وجسد، وهو مواطن في عالمين: الدنيا والآخرة، له مصالحه الفردية وارتباطاته الاجتماعية، يتمتع بقدرات ذهنية عقلية وقوى عضلية بدنية..

هذه الأبعاد المختلفة لشخصيته تجعله متنوع الأدوار والمهام، بسبب تنوع قدراته وطاقاته، وإذا ما حصر الإنسان نفسه ضمن بعد واحد، فإنه يئد ويكبت سائر الجوانب والأبعاد.

كما أن استغراق الإنسان لوقته في عمل واحد، قد ينتج عنه الملل والسأم، لذلك تنصح التعاليم الدينية بأن يقسّم الإنسان وقته على وظائفه ومهامه المختلفة، لتنمية شخصيته في مختلف الأبعاد،

وتلافياً للتعب والملل. فيكون وقت الفراغ من عمل، فرصة للانتقال إلى عمل من نوع آخر.

وحتى في العبادة المستحبة، لا ينصح الدين بالاستغراق فيها إلى حد فقدان الرغبة والنشاط، ورد في صحيحي البخاري ومسلم عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلّ حتى تَمَّلوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قل**»[1] وفي حديث آخر عن أنس عنه ﷺ: «**ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فَتَرَ قعد**»[2].

ومما رواه النبي ﷺ عن صحف إبراهيم عليه السلام: «**ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر في صنع الله عزوجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب**» رواه ابن حيان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد كما في الترغيب[3].

وروي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «**اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات**»[4].

---

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم - حديث رقم ٧٨٢.

(٢) المصدر السابق: حديث رقم ٧٨٤.

(٣) القرضاوي: الدكتور يوسف، الوقت في حياة المسلم ص١٩ الطبعة الخامسة ١٩٩١م مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٤) بن شعبة الحراني: محمد بن الحسن، تحف العقول ص٣٠٢.

من خلال هذه الرؤية تصبح العطل والإجازات من الدراسة والعمل، فرصة لتنمية أبعاد أخرى في شخصية الإنسان، وللقيام بأدوار ومهام في ميادين وحقول ثانية.

إن الله تعالى يخاطب نبيه محمداً بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[1] إي إذا فرغت من مهمة ودوَر، فانتصب لمهمة أخَرى، ودور آخر.

إن لكل جهة في حياة الإنسان حقوقاً ومستلزمات، فلا يصح أن يستهلك جهده في جهة واحدة على حساب بقية الجهات، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقاً**».

مشروعية الترويح

أما الزاوية الثالثة فهي ما تشير إليه النصوص والتعاليم الدينية، من مشروعية الترويح عن النفس، وممارسة بعض البرامج الترفيهية.

تجاه وقت الفراغ، وطريقة التعامل معه، نجد أمامنا ثلاثة اتجاهات: يتمثل الأول في النظرة الجادة للوقت، ورفض التفريط بأي ساعة من ساعاته خارج إطار العمل، وتحمل الالتزامات والمسؤوليات. ولعلنا نجد في حماس اليابانيين للعمل، وعدم رغبتهم للتعطيل، والاستفادة من الإجازات، نموذجاً لهذا الاتجاه، حتى أن نسبة من الوفيات لديهم تحصل بسبب إرهاق العمل، ذكر

(١) سورة الشرح: الآيتان ٧-٨.

« ميشيل البير » في كتابه (الرأسمالية ضد الرأسمالية): أن ١٠٪ من الذكور البالغين الذين يموتون في اليابان كل عام، يقتلون أنفسهم بكثرة العمل، و يحصل اليابانيون على أسبوع واحد إجازة في السنة، واقترحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من ٤٤ ساعة إلى ٤٢ ساعة أسبوعياً، ولكن الأكثرية من الشعب تخالف هذا الاقتراح.

أما الاتجاه الثاني فعلى العكس من ذلك، حيث ينظر إلى الفراغ والتحلل من واجبات العمل، كهدف وطموح، ويتعاطى مع الالتزامات العملية، كحالة اضطرارية قسرية، يبحث عن أي فرصة للتهرب منها.

والتقارير التي تتحدث عن ضعف مستوى الإنتاجية لدى شعوب الدول النامية، مؤشر على شياع هذا الاتجاه فيها.

إن بعض العمال والموظفين يختلق المبررات لأخذ الإجازة للتغيب عن العمل، ويأتي متأخراً عن وقت الدوام، ويخرج قبل انتهائه، وأثناء وقت العمل، يصرف وقتاً كثيراً في قضاياه الشخصية، من شرب الشاي، أو محادثة الزملاء، أو التكلم تليفونياً، وما أشبه ذلك من الظواهر المؤسفة الشائعة، والتي بسببها يتدنى الإنتاج، ويتأخر إنجاز الأعمال.

والاتجاه الثالث يتبنى نظرة تكاملية تعتبر الفراغ وجهاً آخر لعملة العمل، فهما جانبان متفاعلان يُثري كل منهما الآخر.

ففي وقت الفراغ، يمارس الإنسان بعض برامج الترويح والترفيه عن النفس، بهدف تجديد النشاط، وإراحة الأعصاب، وتنفيس ضغوط العمل وصعوباته.

ونجد في التعاليم الدينية إقراراً لمشروعية الترويح والترفيه عن النفس. فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «**روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلّت عميت**».

وعن الإمام علي عليه السلام: «**إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها**».

وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: «**إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم**».

والقرآن الكريم يوجهنا إلى التأمل في الطبيعة، والاستمتاع بجمالها، والتفكر في عظمة الخالق المبدع..

كما وردت نصوص دينية كثيرة في التشجيع على الأسفار والرحلات، وتجيز الفكاهة والمزاح المناسب، وتحث على الرياضة، من سباحة و ركوب خيل، وسباق وغير ذلك.

لقد أصبح واضحاً في المجتمعات الحديثة تأثير وقت الفراغ في مستوى العمل، فازداد الاهتمام ضمن العمل بساعات الترفيه وفترات الراحة والإجازات، من أجل أن يتمتع العامل بوقت فراغه، بصورة تنعكس إيجابياً على أدائه للعمل.

إن برامج الترويح عن النفس مصدر حيوية ونشاط، ودافعيه للإنجاز، وهو ما أشار إليه حديث الإمام موسى الكاظم عليه السلام بقوله: «**اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات، وساعة**

تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات ».

فساعة الترويح عن النفس، تجدد نشاط الإنسان وقدرته على أداء مهامه وواجباته، في الأبعاد المختلفة.■

التخطيط والبرمجة للعطلة الصيفية

يتعامل كثيرون مع أيام العطلة الصيفية وسائر إجازات العمل والدراسة، وكأنها مدة إضافية من الزمن، ليست من حساب أعمارهم، ولا تشكل جزءاً من رصيد حياتهم، لذلك يهدرون أوقاتهم خلالها، ولا يخططون للاستفادة منها، فتتصرم أيامها دون أن يحققوا لأنفسهم إنجازاً يُذكر.

إن عدم التفكير والتخطيط لاستثمار وقت الفراغ في العطلة والإجازة، قد يحوّلها من مبعث راحة، وتجديد نشاط، إلى مصدر كآبة وملل، ومن فرصة تنمية وبناء للذات، إلى أرضية سوء تُنبت المفاسد والأشواك.

قد يشعر الإنسان بالارتياح، في اليوم الأول والثاني من أيام الإجازة، لتحرره من التزامات العمل أو الدراسة، لكنه بعد ذلك سيعاني من ضغط الفراغ، إن لم يكن له برنامج بديل، أو اهتمامات تشغل نفسه ووقته، فحين لا يجد الإنسان ما يهتم به، يصيبه إحساس

بالضياع واللاقيمة، كما قد تتسلل إلى نفسه اهتمامات سيئة، لملء فراغه النفسي والعملي.

يتحدث شاب جامعي عن نظرته لحالة الفراغ قائلاً: «وقت الفراغ في نظري، هو الوقت الذي لا أفعل فيه أي شيء، أي أنني أكون في هذا الوقت غير مشغول بممارسة أي نشاط سواء كان نشاطاً ذهنياً أم عملياً.. وهذا الوقت هو أكثر الأوقات سبباً في الإحساس بالملل، بل إنه ممل جداً بالنسبة لي، ولا أستطيع احتماله أكثر من ربع ساعة، والسبب في ذلك أن هذا الوقت يعطي للعقل فرصة في أن يفكر في أشياء كثيرة، تجعل الإنسان يصاب بحالة اكتئاب نفسي، لأنه في الغالب تكون هذه الأشياء جزءاً من مخزون المشاكل التي تواجه الإنسان يومياً، ولذلك فأحسن تعبير يطلق على وقت الفراغ هو الوقت القاتل»[١].

التوجهات السيئة

غالباً ما يكون الفراغ أرضية للانحراف، ودافعاً للتوجهات السيئة، حيث لا يشعر الإنسان بوجوده وقيمته، إلا إذا كان له تفاعل ما مع قضايا الحياة من حوله، فإن لم يتوفر له ما يمنحه هذا الشعور إيجابياً، فسيعاني حالة فراغ نفسي، تتولد منها هواجس وتصورات غير منضبطة، كما قد تتحرك لديه بعض النوازع والرغبات غير السليمة، والتي هي تحت السيطرة في الأوضاع العادية السوية.

(١) محمد: الدكتور محمد علي، وقت الفراغ في المجتمع الحديث ص٢٤٤ دار النهضة العربية- بيروت ١٩٨٥م.

وأخطر ما يكون الفراغ في مرحلة الشباب، حيث يمتلك الشاب قوة فائضة، تبحث عن قنوات للتصريف، وحماساً كبيراً، يدفع نحو الفاعلية والنشاط. فإذا كانت أمامه برامج وأدوار، وخيارات مناسبة، تشغل اهتمامه، وتنمي شخصيته، وتفعّل قدراته بالاتجاه الصحيح، فإن ذلك سيكون لصالحه وصالح المجتمع.

أما في حالة الفراغ فإنه يكون الشاب فريسة لمشاعر الملل والإحباط، ولقمة سائغة لتيارات الفساد والانحراف، وهذا ما تعاني منه كثير من المجتمعات المعاصرة.

وكما اشتهر على الألسن قول الشاعر - أبو العتاهية -:

إن الفراغ والشباب والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

وقال شاعر آخر:

لقد هاج الفراغ عليه شُغلاً   وأسباب البلاء من الفراغ

وينقل عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنه قال لعامله: «**إن هذه الأيدي لا بد أن تشغل فأشغلها بطاعة الله قبل أن تشغلك بمعصيته**»[١].

وروى البيهقي عن عبد الله بن الزبير قال: أشر شيء في العالم البطالة[٢].

---

(١) السدحان: عبد الله بن ناصر، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب ص٥٤ الطبعة الأولى ١٩٩٤م مكتبة العبيكان- الرياض.

(٢) القرضاوي: الدكتور يوسف، الوقت في حياة المسلم ص٢٧.

ومن أخطر السلبيات التي تنتج عن الفراغ، حالة الملل والسأم وهي مؤذية للنفس، مربكة لشخصية الإنسان، وهناك مقولة متداولة هي: (أن تشعر بالملل هو أن تقبل الموت)، والملل قد يدفع الإنسان إلى تصرفات عبثية ضارة، من أجل التخلص من الملل والخروج من عبء وطأته.

إن عدم التخطيط لاستثمار وقت الفراغ، وخاصة في العطلة الصيفية والإجازات، وعدم الاهتمام بتوفير البرامج المناسبة من قبل الفرد والمجتمع، هو الذي ينتج العديد من الظواهر السلبية، التي تعاني منها مجتمعاتنا، ونلحظها في حياة الكثيرين في أوقات فراغهم، ومن أبرزها الظواهر التالية:

كثرة النوم

يجد البعض في العطلة والإجازة فرصة جيدة لزيادة ساعات نومه، والتي قد تصل إلى عشر ساعات أو أكثر. بينما يكون معدل نومه أيام الدراسة والعمل في حدود ست ساعات أو سبع ساعات في أقصى حد.

لا شك أن النوم حالة طبيعية، وضرورة بيولوجية للإنسان، كما لسائر الكائنات الحيّة، وأنه يخدم وظائف أساسية، مهمتها استعادة الإنسان لنشاطه، وللمقومات التي يعتمد عليها هذا النشاط، وإعادة التوازن الذي اختل أثناء ساعات اليقظة.

ومن الواضح أن النائم يفقد إدراكه بما يحيط به، ويتوقف

إحساسه بالحياة، وتفاعله معها. حيث تتضاءل جميع أنشطته، وترتخي عضلاته، وتتباطأ ضربات القلب، وينخفض معدل التنفس.

فالنوم في مظهره يشكل شبه خروج مؤقت للإنسان عن معادلة الحياة. وإذا كان الإنسان ينام ثماني ساعات، في كل أربع وعشرين ساعة، فمعنى ذلك أن ثلث عمره يكون خارج دائرة الإحساس والتفاعل مع الحياة، ومن يحب الحياة، ويتبنى فيها أهدافاً وتطلعات، عليه أن يحرص على كسب أي ساعة ولحظة منها، والنوم فيما يزيد منه على الحاجة والضرورة، بمثابة هدر وتضييع لجزء من العمر.

لقد افترض الكثيرون: بأن الحاجة اليومية للنوم، هي ثلث ساعات اليوم الواحد، أو ما معدله ٨ ساعات، في كل ٢٤ ساعة، واعتبر البعض: أن الإخلال بهذا المعدل، يلحق الأذى بصاحبه، لكن بحوث العلماء، والتجارب الميدانية والإختبارية، أظهرت: أن معظم الناس ينامون لمعدل زمني يقع بين ٥ إلى ٦ ساعات في اليوم الواحد، بينما ينام البعض لمدة أقل من ذلك، حدها الأدنى ٤ ساعات، وأن التفاوت في معدل النوم بين الناس يتأثر بعوامل شخصية تتعلق بالفرد نفسه.

وقد لوحظ بأن أولئك الذين يعيشون حياة نشطة وخلاقة ومجدية، وخالية من الهم، فإن حاجتهم للنوم، هي أقل من حاجة أقرانهم، ممن لا يظهرون مثل هذه الصفات.

ويقرر باحثون أخصائيون: بأن الحد الأدنى للحاجة إلى النوم في الفرد النامي، ذكراً أو أنثى، يقع ما بين ٤ إلى ٥ ساعات في اليوم،

وقد يكون فيما يزيد على هذا الحد إضافة لا حاجة هامة لها، وبأن بإمكان الفرد أن يستغني عنها[١].

وتحديد مدة النوم وزمنه، يخضع لما يعوّد الفرد عليه نفسه، ضمن الظروف والحالة الطبيعية، فإذا برمج وضعه على مدة معينة للنوم، فسينتظم عليها، وقد ينزعج للإخلال بها.

ويتضح من دراسات علمية عديدة، للمقارنة بين سمات وصفات فئة الأفراد طويلي النوم، وفئة الأفراد قصيري النوم: أن قصيري النوم هم أكثر نشاطاً وفعالية، وأكثر طموحاً، واتخاذاً للقرار، وأكثر رضى عن أنفسهم وحياتهم، وأكثر اجتماعية، وهم قليلي التشكي بشأن دراستهم وظروف حياتهم، وهم يتصفون بالانفتاح، وقلة القلق، ويشغلون أنفسهم بصورة دائمية بفعالية أو أخرى، وقلما يعانون من مشاكل نفسية، ويتضح من هذه الخصائص أن قصر النوم يتوافق عادة مع مقومات أفضل في الشخصية، ومع حياة نفسية واجتماعية وإنتاجية أفضل. ولهذا أن يدلل بأن النوم وإلى حد ما، هو أقل ضرورة أو فائدة لصاحبه مما كان يظن[٢].

إنه ينبغي التعامل مع النوم ضمن حالة الحاجة والضرورة، وليس كهواية يستمتع بها الإنسان فيستكثر منها.

وما نراه عند البعض، من زيادة وقت نومهم أيام العطلة

---

(١) كمال: الدكتور علي، أبواب العقل الموصدة- باب النوم وباب الأحلام ص١١٨ الطبعة الأولى ١٩٨٩م دار الجيل- بيروت. الدار العربية- عمّان.

(٢) المصدر السابق ص١٥٧.

والإجازة، يعتبر ظاهرة سلبية، تحرم الإنسان من الاستفادة المناسبة من وقت فراغه.

ونجد في النصوص والتعاليم الدينية ما يؤكد أهمية التقليل من النوم، ويلفت نظر الإنسان إلى سلبيات الإكثار منه.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إياكم وكثرة النوم، فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة»[١] ومعنى الحديث واضح لأن كثرة النوم ستكون على حساب العمل الصالح والذي هو غنى الإنسان وثروته في الدنيا والآخرة.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**إن الله يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ**»[٢].

وعنه عليه السلام في حديث آخر: «**كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا**»[٣].

هدر الأوقات

لضعف الإحساس بالمسؤولية تجاه الزمن، وللتصور الخاطئ عن وظيفة وقت الفراغ، فإن البعض يهدرون أوقاتهم خلال العطلة الصيفية والإجازات بشكل مؤسف، ويتحدثون بكل صراحة عن قتل وقت الفراغ. إما عبر جلسات فارغة، تستمر ساعات طويلة، دون فائدة أو قيمة، أو بالتسكع على أرصفة الشوارع والطرقات.

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٣ ص١٨٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

إن لقاء الأصدقاء والجلوس معهم أمر جيد، شريطة أن يكون ضمن الحدود الطبيعية، وأن يستثمر في تعميق أواصر المودة، والاستفادة الفكرية والعملية، بمناقشة موضوع مفيد، أو تنمية موهبة وكفاءة.

لكن جلسات قتل الوقت تأخذ منحى آخر، إذ تطول ساعات دون مبرر، ولا يتخللها إلا كلام تافه، قد يكون سبباً للمشاكل والآثام.■

الإعلام والتلقي السلبي

أصبحت وسائل الإعلام المتقدمة، وتكنولوجيا الاتصالات المتطورة، كقنوات البث الفضائي، وشبكة الإنترنت، تستهلك جزءاً كبيراً من وقت الإنسان المعاصر. وهي تفتح أفقاً معرفياً واسعاً أمام الإنسان، وتقدم له خدمات عالية، آخذة في الاتساع.

وفي أيام إجازات الدراسة والعمل يتضاعف الإقبال على هذه الوسائل، حيث يقضي أمامها الكثيرون ساعات طويلة كل يوم.

وتتمثل سلبية التعاطي مع وسائل الإعلام والاتصالات في جانبين:

الأول: استهلاك الوقت دون حدود، وعلى حساب سائر المهام والأبعاد من شخصية الإنسان والتزاماته، حتى أشار تقرير نشر قبل عشر سنوات، إلى أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون قرابة (١٥) ألف ساعة، بينما لا

يكون أمضى في فصول الدراسة أكثر من (١٠٨٠٠) ساعة على أقصى تقدير، أي في حالة كونه مواظباً على الدراسة، محدود الغياب. ومعدل حضور بعض الطلاب في الجامعة (٦٠٠) ساعة سنوياً، بينما متوسط جلوسه عند التلفزيون (١٠٠٠) ساعة سنوياً[(١)].

وقد سبب الانجذاب غير المقنن إلى وسائل الإعلام والاتصالات، انخفاضاً في الأداء التعليمي، عند شريحة واسعة من الطلاب والطالبات.. كما سبب تدنياً في مستوى العلاقات العائلية، واهتمام الزوجين ببعضهما، واهتمامهما بالأبناء. ويحصل كثيراً أن تهمل الأم أطفالها، من أجل متابعة أحد الأفلام أو المسلسلات.

أما قراءة الكتب، وبرنامج التثقيف الذاتي، فقد أصبح في خبر كان، عند أكثر أبناء هذا الجيل، المستقطب إعلامياً ومعلوماتياً.

الثاني: أما الجانب الثاني فهو سوء الاختيار وسلبية التلقي، فهناك أكثر من ٥٠٠ قناة عالمية تبث مختلف البرامج ليل نهار، وهناك ملايين المواقع على شبكة الإنترنت، تعرض كل شيء دون حدود أو قيود، فإذا لم تكن للإنسان قيم وضوابط في اختياره لما يشاهد ويتابع، فإنه سيكون فريسة سهلة، ولقمة سائغة، للتوجهات الفاسدة، التي تحرّض الغرائز والشهوات، وتشجّع على العنف والإجرام، وتروّج لأنماط سلوكية مخالفة للمحيط الاجتماعي، وهي في مجملها أدوات للعولمة الثقافية، التي تريد إلغاء الهويات الحضارية لمختلف

---

(١) العمر: الدكتور ناصر بن سليمان، البث المباشر حقائق وأرقام ص١٤ دار الوطن للنشر- الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

الشعوب والأمم، لتذويبها في بوتقة الحضارة الغربية المادية.

إن الإنسان ليحرص على صحة جسمه فلا يتناول طعاماً ملوثاً، فكذلك عليه أن يحرص على صحة فكره وسلوكه، فلا يتلقى المشاهد والتوجهات السلبية الضارة. يقول الإمام الحسن بن علي ﷺ: «**عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه**»[١].

وإذ يتمتع الإنسان بنعمة السمع والبصر من الله سبحانه وتعالى، فإنه يتحمل المسؤولية تجاه طريقة استخدامهما يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[٢]. ■

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج١ ص٢١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.



الفراغ والانحراف

إن من أسوأ الظواهر التي تنتج عن فراغ العطلة الصيفية، إذا لم تستثمر بالبرامج الصالحة، هي ظاهرة التصرفات الشاذة، والسلوكيات المنحرفة، في وسط الجيل الناشئ.

ذلك أن الشعور بالفراغ يدفع لتقبل أي اهتمام، وعادة ما يصحب التوجهات الخاطئة إغواء وإغراء، ولقلة النضج والخبرة عند الشباب والمراهقين، يكون انزلاقهم سهلاً.

وتؤكد الأبحاث والتقارير، دور مشاهدة الأفلام والبرامج السيئة، في الاندفاع نحو الانحرافات الجنسية، وأعمال العنف، لدى المراهقين والمراهقات، كما أن استخدام شبكة الإنترنت، كثيراً ما يكون وسيلة إغواء يستجيب لها الشباب، وخاصة في فترة الفراغ، فيدخلون عبرها على مواقع إباحية، ويرتبطون بعلاقات ضارة.

ويذكر عبد الرحمن مصيقر في دراسته عن الشباب والمخدرات

في دول الخليج العربي: أن دراسات أجريت في بعض الدول العربية عن متعاطي المخدرات تبين أن أغلبهم كانوا يشغلون بها وقت فراغهم[١].

ونقل باحث آخر، نتائج بعض الدراسات التي أجريت حول علاقة وقت الفراغ بالانحراف، وتوصلت إلى ما يلي:

أ. أن أغلبية الأفعال الانحرافية يرتكبها الفرد أثناء وقت الفراغ.

ب. أن نسبة كبيرة من الانحرافات ترتكب بقصد الاستمتاع بوقت الفراغ[٢].

إن حالة الهدوء والاستقرار في كثير من الأحياء السكنية، تتعرض للاهتزاز والاضطراب، عند أول يوم من أيام العطلة الصيفية، حيث يمارس عدد من الشباب هواية التفحيط بسياراتهم، والقيام بحركات بهلوانية حتى وسط الأحياء السكنية، ويمتطي بعضهم دراجات نارية ذات صوت مرتفع مزعج، وينتشر بعض الشباب في الطرقات والأماكن العامة، ليقوموا بتصرفات شاذة، منافية للأدب والاحترام.

وتحسب العوائل ألف حساب للسيطرة على أبنائها عند تعطيل الدراسة، كما تستعد الأجهزة الأمنية للتعامل مع ارتفاع معدّل الحوادث والجرائم والمشاكل السلوكية، خلال العطل والإجازات.

---

(١) مصيقر: عبد الرحمن، الشباب والمخدرات في دول الخليج العربية ص٦٦، شركة الربيعان للنشر والتوزيع- الكويت.

(٢) السدحان: عبد الله بن ناصر، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب ص٢٢.

وليس مبالغة أن نقول: إن العطلة الصيفية تخرّج كل عام أفواجاً من الملتحقين بتيارات الفساد والانحراف ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «**من الفراغ تكون الصبوة**» **أي الممارسات الصبيانية**». وعنه عليه السلام: «**إن يكن الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة**».

إن ذلك يؤكد مسؤولية الجميع في الاهتمام بالتخطيط السليم لوقت الفراغ، والعمل على احتواء واستيعاب الطلاب والطالبات خلال العطلة الصيفية، لمساعدتهم على استثمارها بما يخدم مستقبلهم ومصلحة الوطن.

لقد كان أرسطو على حق، وبعيد النظر حين رأى أن أهم أهداف التربية، هو تعليم الناس، كيف يستطيعون تمضية أوقات فراغهم، واستغلالها بصورة إيجابية ومفيدة.■

